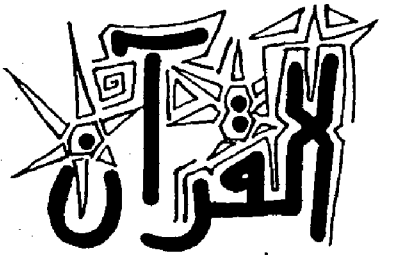

روح الإسلام والعربية جزء من هذه الروح

بقلم الاستاذ محمد محمود الراميني

(الاردن)

الاسلام دين القرآن : والقرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : وهو باللغة العربية د ون غيرها من اللغات ، لقوله سبحانه وتعالى: «قرآنا عربيا غير ذي عوج» وقوله «وكذلك انزلناه قرآنا عربيا» وقوله انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» وقوله «وانه لتنزيل رب العالمين ؛ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين».

فاذا وضح لدينا أن القرآن الذي هو أعظم كتاب نزل من السماء باللسان العربي ، على أعظم نبي آدمي: وهو عربي : ثبت ثبوتا جليا ان خير الكتب القرآن ؛ وخير الانبياء محمد ، وخير اللغات : العربية .

وقد نزل القرآن ابان مباريات العرب فصائحها بعضهم بعضا : ومناظراتهم وتفاخرهم اي القبائل افصح ؟ وايها ابين ؟ وايها اوجز ؟ وايها بكلماتها القليلة اجمع ؟ حتى علت لغتهم ، وصفت عن كل كدر ، وخلت من كل ضعف ، فبحوارهم مع بعضهم ، وتنافسهم في تخير الالفاظ ، وانتقائهم لاسهلها وأخفها واحلاها ، قد تخلت عن الالفاظ المرذولة ، والكلمات المعقدة ، وهكذا في ارتقائهم وعليائهم بها .

فما شعروا الا ورسول جاءهم بكتاب من عند الله ينطق بلسانهم ولغتهم ، يتحداهم ان كانوا في شك منه ان يأتوا بسورة من مثله بقوله سبحانه وتعالى : «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين» . ثم قال جل جلاله : « فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا » فظهر لنا بأن القرآن العظيم هو باعلى انواع اللغة العربية ، ولم يستطع الانس والجن عن أن ياتوا بسورة من مثله، وهو دين الاسلام الذي امرت المخلوقات باتباعه ، وفهم ما فيه .

واوجب عليها النظر والتدبر في آياته ومواعظه وحكمه بقوله : « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب » ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ؛ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » .

فيجب ان يفهمه العالمون ، ويعقله الخلق اجمعون ولا يكون ذلك الا بفهم لغة العرب والوقوف عليها ، فهو لهذا جسم ، وهي لهذا روح ، ولا يمكن أن يكون هناك اسلام خال من اللغة العربية فهذا مرتبط بهذا ولازم له.

وانه مهما سار الاسلام فزمانه اللغة ، أو القرآن فهو أبو اللغة وأمها ، فلا أرى رأيا أو وجها يفصل القرآن الذي هو الاسلام عن اللغة لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذي عوج » والمراد بالعوج هنا لغة غير العرب ، حتى اذا ترجم القرآن الى أي لغة ، فقد ذهب جماله وبهاؤه ورواؤه ، فضلا عن اعجازه وعظمته ، وعلوه ورفعته ، وانه فوق متناول الخلق جميعا ، من أن يأتوا ولو بسورة من مثله .

والامر بين الاسلام الذي هو القرآن وبين اللغة العربية أعظم وأعلى بل واشد واقوى من أن تكون له علاقة سببية ، فهما كالجسم والروح لايفترقان ابدا ولا غنى لاحد منهما عن الآخر وقد قضت مشيئة المولى الكبير أن يكون الامر كذلك .

وأما تلك الخيرة فالاليق عدم ذكرها ، لان فضل الاسلام على اللغة لا فضل اللغة على الاسلام .

هذا وكلما قوي الاسلام وانتشر ، انتشرت لغة الاسلام معه وقويت ، فانظر الى المواقع التي دخلها الاسلام من بلاد العرب الى اوائل الصين فى زمن الحجاج مع بني أمية . فقتيبة سار فى المشرق حتى بلغ الصين يفتح وينشر الاسلام . ومحمد بن القاسم كذلك فى بلاد السند والهند . وموسى بن نصير سار قبل مغرب الشمس لم يدع مدينة الا فتحها ونشر العلم والاسلام فيها ، فكانت اللغة العربية فى ذاك العهد الزاهر هي لغة العلم والدين والقرآن ، حتى كادت البشرية التي دخلت تحت راية الاسلام تترك لغاتها الاصلية الموروثة للغة الفصحى لغة أعظم كتاب دانت له البشرية « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد ».

فكنت فى ذلك العصر كما أجمع المؤرخون على ذلك لاتدخل مسجدا فى دنيا الاسلام الا ورأيت عدة حلقات للعلم وقراءة القرآن وسائر العلوم التي لها المام بلغة العرب والقرآن ولا مدرسة الا وجدتها كذلك ، حتى ولا بيتا الا وفيه من يحفظ دينه بحفظ القرآن . فلغة كان يلهج بها أكثر سكان المعمورة لاجل القرآن الذي نزل بها . لاشك أن قوة القرآن قوتها ، وضعفه ضعفها . وهذا ليس فى الزمن القديم فقط بل هو ممتد الى يومنا هذا .

فما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن فى اللهجات ؟

ان القرآن الكريم الذي نقرؤه فى سائر بلاد الاسلام ؛ هو مصحف عثمان الامام المكتوب بلسان قريش ولهجتها من دون سائر العرب لان العرب اجمعوا حين جمع القرآن أن يكتب ويحفظ بلسان قريش . لانه عليهم نزل وفى دارهم استقر ولهجتهم ثبت ، وبقي الى يومنا هذا فى سائر بلاد الاسلام كما كان واستقر ، ولذلك تجد جميع لهجات المتعلمين فى سائر بلاد الاسلام واحدة. ولو أقبلت الناس على العلم لما رأيت لهجة للعرب ولا فى بلاد العرب الا لهجة قريش الفصحى . لان القرآن قرىء بها وكل العلوم تبع للقرآن . ولا عبرة بلهجات العامة ، فتلك لا معول عليها .

أما أهل العلم والمعرفة فلا تؤثر فيهم اللهجة العامة ويترفعون عن أن يضعوا فى كتبهم شيئا منها لانحرافها وعدم ثباتها . ثم ان اللغة العربية ليست فى بلد من بلاد العرب أقوى منها فى بلد آخر . بل البلاء واحد ، والداء واحد .

ولقد تداعت أمم الافرنج من كل ناحية من نواحي حياتنا الدينية أو الدنيوية فأفسدت أو أضعفت كل شيء تالدا أو طريفا ومن جملة ما أضعفت ديننا ولغتنا . فوضعت بدل اللغة الموروثة العربية لغة الاجانب ، وبدل الدين واليقين ، الشك والتشكيك .